الإيجاز والإطناب في القصص القرآني وعلاقته بمقاصد السور
- قصة زكريا عليه السلام أنموذجاً -

إعداد

د. عبير بنت عبد اللّه النعيم

أستاذ مساعد في قسم الدراسات القرآنية

جامعة الملك سعود

ملخّص البحث

الحمد لله القائل في كتابه العزيز: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل : ٨٩) ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أدىٰ الأمانة، وبلغ الرسالة ونصح الأمة، صلوات ربي وسلامه عليه.

عنوان هذا البحث: (الإيجاز والإطناب في القصص القرآني وعلاقته بمقاصد السور – قصة زكريا ﷺ إنموذجًا–) .

وتتجلىٰ **مشكلة البحث** في ورود بعض سور القرآن الكريم مرة علىٰ وجه الإيجاز، ومرة علىٰ وجه الإطناب، وهذا يدعونا إلىٰ التأمل والتدبر حول مدىٰ علاقة الإيجاز والإطناب في القصص القرآني بمقاصد السور .

أهداف البحث:

- بيان وجه الإيجاز تارة والإطناب تارة في القصص القرآني وعلاقته بمقاصد السور .
- إبراز منهج القرآن الكريم في تكرار القصص ، ومدىٰ مناسبتها لمقصد السورة .
- حصول الامتثال والاتعاظ من القصص القرآني مع تجلي مقاصد السور الواردة فيها.

المنهج المتبع في البحث :

المنهج الاستقرائي الاستنباطي .

خطة البحث:

يتكون البحث من مبحثين وفيها مطالب ثم خاتمة ، وهي علىٰ النحو التالي:

المبحث الأول : الإيجاز والإطناب في قصة زكريا عليه السلام .

المطلب الأول: تعريف الإيجاز لغة واصطلاحـًا.

المطلب الثاني : تعريف الإطناب لغة واصطلاحـًا.

المطلب الثالث : الإيجاز والإطناب في قصة زكريا ﷺ .

المبحث الثاني :علاقة الإيجاز والإطناب بمقاصد السور .

المطلب الأول:تعريف مقاصد السور

المطلب الثاني : علاقة الإيجاز والإطناب بمقاصد السور من خلال قصة زكريا عليه السلام.

أهم النتائج :

أن مقصد السورة وأهدافها أحد أسباب عرض القصة بالإطناب والتفصيل تارة، أو الإيجاز تارة أخرىٰ، وذلك ليسلط الضوء علىٰ الجانب الذي سيقت لأجله القصة والذي يصب في مقصد السورة وأغراضها.

أهم التوصيات :

توجيه البحث العلمي نحو العناية بمقاصد السور؛ لأنها الحجر الأساس في فهم كتاب الله تعالىٰ وتدبره وإثراء معانيه.



❊ ❊ ❊

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾[الأحزاب:٧٠].

أما بعد:

فإن الإيجاز والإطناب في قصص القرآن الكريم ظاهرة جديرة بالاهتمام، والتأمل، ولقد كان لها حظ وافر في البحث عند المتقدمين، إلا أن أهمية هذه الدراسة تأتي في كونها تناولت الإيجاز والإطناب في القصص القرآني وعلاقته بمقاصد السور، ولاشك أن علم المقاصد من أجل العلوم المعينة علىٰ فهم كتاب الله تعالىٰ وتدبره، بل هو عمدة في فهمه، فالمقاصد هي التي توجه أسلوب العرض وتسلط الأضواء علىٰ العنصر المراد إبرازه، كما أن وقوف المفسِّر علىٰ مقاصد السور يسدد ذهنه ويعصمه من الخطأ في تفسيرها؛ لأنه يتقيد في توجيه الآيات وفقًا لهذا المقصد، وبيان ذلك أن مقصد كل سورة إنما يقف عليه المفسر بعد استقراء آياتها والتأمل العميق فيما تدل عليه معان تحقق مراد الله –تعالىٰ– من كلامه.

والمنهج الأسلم الذي يجعل كلام الله منتظمًا علىٰ نحو يتضح فيه جليًّا كمال نظمه واتساق آياته، ويبرز إعجازه وبلاغته؛ ومن حقق المقصود من السورة، عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها .

يقول الطاهر ابن عاشور في مقدمة تفسيره : (وفوائد القصص تجتلبها المناسبات فتذكر القصة كالبرهان علىٰ الغرض المسوقة هي معه، فلا يعد ذكرها مع غرضها تكريرا لها؛ لأن سبق ذكرها إنما كان في مناسبات أخرىٰ). [(١)]

وعليه فإن عنوان هذه الدراسة سيكون بعنوان : (الإيجاز والإطناب في القصص القرآني وعلاقته بمقاصد السور) متخذة من قصة زكريا ﷺ أنموذجًا للدراسة والتطبيق.

مشكلة البحث :

ورود بعض القصص القرآني في بعض السور مرة علىٰ وجه الإيجاز، ومرة علىٰ وجه الإطناب، وهذا يدعونا إلىٰ التأمل والتدبر حول مدىٰ علاقة الإيجاز والإطناب في القصص القرآني بمقاصد السور.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

- صلته بكتاب الله – تعالىٰ – وتدبره وفهمه.
- وضوح العبر والعظات في القصص القرآني حسب مواضع ورودها عند النظر في مقاصد السور.
- عدم وجود دراسة قرآنية تناولت موضوع الإيجاز والإطناب في القصص القرآني وعلاقته بمقاصد السور.

أهداف البحث :

- بيان وجه الإيجاز والإطناب في القصص القرآني وعلاقته بمقاصد السور .
- إبراز منهج القرآن الكريم في تكرار القصص، ومدىٰ مناسبتها لمقصد السورة .
- حصول الامتثال والاتعاظ من القصص القرآنية مع تجلي مقاصد السور الواردة فيها .

---

(١) التحرير والتنوير / ابن عاشور، ج١، ص٦٨ .

أسئلة البحث :

- ما علاقة الإيجاز والإطناب في القصص القرآني بمقاصد السور ؟
- ما هو منهج القرآن الكريم في القصص المكررة،من حيث ملاءمتها لمقصد السورة ؟
- ما أثر هذه القصص القرآنية علىٰ حياة المسلم .

الدراسات السابقة :

عند البحث ومراجعة المكتبات، وفهارس مراكز البحث العلمي وقواعد البيانات لم أجد من بحث العلاقة بين الإيجاز والإطناب في القصص القرآني وعلاقته بمقاصد السور، وإنما كل الأبحاث التي ظهرت، بعضها متخصص في الإيجاز والإطناب في القصص القرآني، وأبحاث متعلقة بمقاصد السور، ومن تلك الكتب والمراجع :

- الإطناب في قصص القرآن الكريم / عائشة أحمد جرار، رسالة ماجستير، ٢٠٠٩ م.
- مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور للإمام البقاعي.
- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن) للدكتور عبدالله شحاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، نشر الهيئة المصريه العامة للكتاب.
- (نبذ من مقاصد الكتاب العزيز) للعز بن عبدالسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد حققه وعلق عليه أيمن عبدالرزاق الشوا، ونشره المحقق عام ١٤١٦هـ. وهذا الكتاب ليس كتاباً مستقلاً للعز بن عبدالسلام، وإنما هو جزء ختم به المؤلف كتابه (الإشارة إلىٰ الإيجاز في بعض أنواع المجاز).

المنهج المتبع في الدراسة :

المنهج الاستقرائي .

خطة البحث :

المبحث الأول : الإيجاز والإطناب في قصة زكريا عليه السلام .

المطلب الأول : تعريف الإيجاز لغة واصطلاحًا .

المطلب الثاني : تعريف الإطناب لغة واصطلاحًا.

المطلب الثالث : الإيجاز والإطناب في قصة زكريا عليه السلام .

المبحث الثاني : علاقة الإيجاز والإطناب بمقاصد السور .

المطلب الأول : تعريف مقاصد السور .

المطلب الثاني : علاقة الإيجاز والاطناب بمقاصد السور من خلال قصة زكريا عليه السلام.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات .

* * *



المبحث الأول: الإيجاز والإطناب في قصة زكريا عليه السلام

المطلب الأول : تعريف الإيجاز لغة واصطلاحًا :

الإيجاز لغة :

قال ابن منظور في اللسان : (الإيجاز من وجز الكلام وجازة ووجزاً، وأوجز قل في بلاغة، وأوجزه اختصره، وكلام وجز أي: خفيف. وأمر وجز وواجز ووجيز وموجَز وموجِز ؛ يقال : أوجز فلان إيجازاً في كل أمر، وأمر وجيز وكلام وجيز أي خفيف مختصر). [١]

والايجاز: التقصير. يقال: أوجز في الكلام : إذا قصره، فهو كلام موجز. [٢]

الإيجاز اصطلاحًا :

هو اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل. [٣]

قال السراج في اللباب : (هو تأدية المعنىٰ بعبارة ناقصة عنه فرب قليل يغني عن الكثير.

وهذا الباب دقيق المسلك، لا يرتقي إليه إلا ذوو الفصاحة والزّكن. قال أحد النقاد: أحسن الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه) . [٤]

وقال الجرجاني في التعريفات : (هو: أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة). [٥]

وقيل هو: اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل [٦]

(١) لسان العرب / ابن منظور، ج١٥، ص٢٢١ .
(٢) معجم لغة الفقهاء / محمد رواس قلعجي، ج١، ص٩٨ .
(٣) معجم البلاغة العربية / بدوي طبانة، ص٢٠٣ .
(٤) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب والنحو / محمد علي السراج، ج١، ص١٦٦ .
(٥) التعريفات / الجرجاني، ج١، ص٤١ .
(٦) معجم البلاغة العربية / بدوي طبانة، ص٢٠٣.

وقال ابن عاشور : (ومن أبدع الأساليب في كلام العرب الإيجاز، وهو متنافسهم غاية تتبارىٰ إليه فصحاؤهم، وقد جاء القرآن بأبدعه إذ كان مع ما فيه من الإيجاز المبين في علم المعاني فيه إيجاز عظيم آخر، وهو صلوحية معظم آياته لأن تؤخذ منها معانٍ متعددة كلها تصلح لها العبارة باحتمالات لا ينافيها اللفظ ...).[١]





(١) التحرير والتنوير/ ابن عاشور، ج١، ص١٢١ .

المطلب الثاني : تعريف الإطناب لغة واصطلاحاً

الإطناب لغة :

قال ابن منظور: (الطُنب والطُنُبُ: حبل الخباء والسرادق ونحوها، والأطناب : الطوال من حبال الأخبية، والطنب: حبل طويل يشد به البيت والسرادق .

والإطناب: المبالغة في مدح أو ذم والإكثار فيه، والمُطنب المداح لكل أحد، والمَطْنَبُ حَبْلُ العاتِق وجمعه مَطانِبُ، ويقال للشمس إذا تَقَضَّبَتْ عند طُلوعها: لها أَطْنابٌ وهي أَشِعَّة تمتدُّ كأَنَّها القُضُب، والطَّنَبُ طُول في الرجلين في اسْتِرْخاء، والطُّنُب والإِطْنابةُ جميعاً سَيْرٌ يُوصَلُ بوَتَرِ القَوْسِ العربية ثم يُدارُ علىٰ كُظْرِها، وقيل إِطْنابةُ القَوْسِ: سَيْرُها). [١]

الإطناب اصطلاحًا :

قال الجرجاني في التعريفات: (الإطناب: هو أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة، وقيل: الإطناب: أن يكون اللفظ زائداً علىٰ أصل المراد). [٢]

وقيل هو: زيادة اللفظ علىٰ المعنىٰ لفائدة جليلة من غير ترديد. [٣]

يعني عرض المعنىٰ بزيادة الألفاظ، لإضافة معان جديدة علىٰ المعنىٰ الرئيس، وذلك لتقوية المعنىٰ، وتوكيده.

فالشرط الرئيس فيه، أن تحقق الزيادة فائدة جديدة علىٰ المعنىٰ، وهذا الذي يميز الإطناب عن التطويل .

قال ابن الأثير الحلبي : (إن التطويل يأتي لغير فائدة، أما الإطناب فيأتي لفائدة التأكيد، والمبالغة). [٤]

(١) لسان العرب / ابن منظور، ج٨، ص٢٠٥-٢٠٦ .
(٢) التعريفات / الجرجاني، ج١، ص ٨ .
(٣) معجم البلاغة العربية / بدوي طبانة، ص٣٨٨.
(٤) جواهر الكنز / ابن الأثير، ص٢٥٦ .

المطلب الثالث: الإيجاز والإطناب في قصة زكريا عليه السلام [1]

ذُكر اسم زكريا – عليه الصلاة والسلام– في سبعة مواضع في القرآن الكريم، وورد أحداث قصته في ثلاث سور قرآنية، هي: سورة آل عمران، وسورة مريم، وسورة الأنبياء بينما أشير إليه إشارة في سورة الأنعام، وجاءت هذه القصة مفصلة في سورتي مريم، وآل عمرن بينما جاءت مختصرة في سورة الأنبياء .

وإليك هذه المواضع حسب ترتيبها في المصحف:

الموضع الأول في سورة آل عمران :

في قوله تعالىٰ:﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ (٤١)﴾ (آل عمران: ٣٧– ٤١).

(١) زكريا عليه السلام هو: زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داوود بن سليمان، ينتهي نسبه إلىٰ يعقوب بن إسحاق – عليهما السلام– وكان عهد النبي زكريا قريب بعهد النبي عيسىٰ عليه السلام يدل علىٰ ذلك قوله ﷻ في قصة مريم أم عيسىٰ –عليهما السلام–: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (آل عمران:٣٧).

بعث الله – تعالىٰ– زكريا – عليه الصلاة والسلام– رسولًا إلىٰ بني إسرائيل، فقام عليه السلام يدعو قومه إلىٰ دين الله الإسلام، وعبادة الله وحده، ويخوفهم عذابه في وقت اشتد فيه الفسق والفجور، وانتشرت فيهم المفاسد والمنكرات، وكان نبي الله زكريا عليه السلام قد تقدمت به السن وانتشر الشيب في رأسه وبلغ من الكبر عتيًا، وكانت امرأته عاقرًا لا تلد، فلما رأىٰ من آيات الله الباهرات عاين هذه الآية والكرامة العجيبة من رزق الله –تعالىٰ– لمريم أم عيسىٰ – عليهما السلام– الفاكهة في غير حينها، هنالك رغب في الولد علىٰ الكبر، فطلب من ربه أن يرزقه غلامًا تقيًا يرثه في العلم والنبوة ويعلم الناس الخير، يقول الله – تبارك وتعالىٰ- : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء﴾ سورة آل عمران. انظر: مختصر تاريخ دمشق / ابن عساكر، ج٩، ص٤٦.

مضمون قصة زكريا ﷺ ومجرياتها في سورة آل عمران :

جاءت قصة زكريا - عليه الصلاة والسلام - مفصلة علىٰ وجه الإطناب في هذه السورة حيث ابتدأت بكفالة زكريا ﷺ لمريم، وذلك أن امرأة عمران -والدة مريم- لما حملت قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ أي: جعلت ما في بطني خالصـاً لوجهك، محرراً لخدمتك وخدمة بيتك ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ هذا العمل المبارك ﴿إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾ تسمع دعائي وتعلم نيتي وقصدي، هذا وهي في البطن قبل وضعها.

وكان سبب نذر حَنة ابنة فاقوذ، امرأة عمران كما يرويه الإمام الطبري بسنده أن زكريا وعمران تزوجا من أختين، فكانت أمّ يحيىٰ عند زكريا، وأم مَريم عند عمرانَ، فهلك عمران وأم مريم حاملٌ بمريم، قال: وكانت -فيما يزعمون- قد أمسك عنها الولد حتىٰ أسنَّت، وكانوا أهل بيت من الله -جل ثناؤه- بمكان.

فبينا هي في ظلّ شجرة نظرت إلىٰ طائر يُطعم فرخًا له، فتحرّكت نفسُها للولد، فدعت الله أن يهبَ لها ولدًا، فحملت بمريم، وهلك عمران. فلما عرفت أن في بطنها جنينًا، جعلته لله نَذيرةً و "النذيرة"، أن تعبِّده لله، فتجعله حبيسًا في الكنيسة، لا ينتفع به بشيء من أمور الدنيا). [١]

فلما وضعتها إذا هي جارية، وكانت ترجو أن يكون غلامـاً ؛ ليكون أقدر علىٰ الخدمة وأعظم موقعاً في خدمة الكنيسة، ولكنها دفعتها نذيرة ودعت لها ولذريتها أن يعيذهم الله من الشيطان الرجيم، و قيض الله لها زكريا ﷺ ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ إياه، فنشأت في عبادة ربها وفاقت النساء، وانقطعت لعبادة ربها، ولزمت محرابها فكان ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقـًا﴾ أي: من غير كسب ولا تعب، بل رزق ساقه الله إليها، وكرامة أكرمها الله بها،، فلما رأىٰ زكريا ﷺ ما من الله به علىٰ مريم، وما أكرمها به من رزقه الهنيء الذي أتاها بغير سعي منها ولا كسب،

(١) تفسير الطبري، ج ٦، ص ٣٣٠ .

طمعت نفسه بالولد، ولهذا دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ أن يرزقه ذرية طيبة، طاهرة الأخلاق، طيبة الآداب، لتكمل النعمة الدينية والدنيوية بهم. فاستجاب له دعاءه.

وبينما هو قائم في محرابه يتعبد لربه ويتضرع نادته الملائكة ﴿ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ فقال زكريا من شدة فرحه: ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ وكل واحد من الأمرين مانع من وجود الولد، فكيف وقد اجتمعا، فأخبره الله – تعالىٰ – أن هذا خارق للعادة، فقال: ﴿ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ فكما أنه سبحانه يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها، فإنه يوجدها بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره، فامتنع من الكلام ثلاثة أيام علامة علىٰ حمل زوجته، وأمره الله أن يشكره ويكثر من ذكره بالعشي والإبكار، في قوله :﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ أي: أول النهار وآخره[1] .

الموضع الثاني: في سورة الأنعام:

في قوله تعالىٰ : ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

لم ترد قصة زكريا ﷺ في سورة الأنعام وإنما أشير له إشارة، ولذلك سيكون هذا الموضع خارج بحثنا لأنه لم تذكر فيه قصة زكريا .

حيث قرن – سبحانه– في هذه الآية بين أولئك الأنبياء لاشتراكهم في الزهد الشديد والإعراض عن الدنيا وبدأ بزكريا ويحيىٰ لسبقهما عيسىٰ في الزمان، وقدّم زكريا؛ لأنه والد يحيىٰ فهو أصل، ويحيىٰ فرع. [2]

وقال الرازي : (خص كل طائفة من طوائف الأنبياء بنوع من الإكرام والفضل، وقسمهم علىٰ مراتب ومن تلك المراتب، الزهد الشديد والإعراض عن الدنيا، وترك مخالطة الخلق، وذلك كما في حق زكريا، ويحيىٰ، وعيسىٰ، وإلياس). [3]

(١) انظر: تفسير البغوي، ج ١، ص ٤٣٠، وتفسير السعدي، ج ١، ص١٢٨ .
(٢) البحر المحيط، ج٥، ص١٩٧ .
(٣) تفسير الرازي، ج٦، ص٣٦٠ .

(وهذا تقرير لينابيع الهدىٰ في هذه الأرض. فهُدىٰ الله للبشر يتمثل فيما جاءت به الرسل. وينحصر المستيقن منه، والذي يجب اتباعه، في هذا المصدر الواحد، الذي يقرر الله – سبحانه – أنه هو هدىٰ الله؛ وأنه هو الذي يهدي إليه من يختار من عباده). [١]

الموضع الثالث: في سورة مريم :

في قوله تعالىٰ: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا(٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) ﴾(سورة مريم:٢-١١)

مضمون قصة زكريا ﷺ ومجرياتها في سورة مريم :

يقص علينا القرآن الكريم نبأ النبي زكريا ﷺ ورحمة الله به حيث صدر – سبحانه – السورة بقوله: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ فذكرت السورة حالة نبيه زكريا، وآثاره الصالحة، ومناقبه الجميلة، التي استوجبت محبة الله – تعالىٰ – له، والإكثار من ذكره، وذلك أن الله – تعالىٰ – اجتبىٰ واصطفىٰ زكريا ﷺ لرسالته، وخصه بوحيه، فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا العباد إلىٰ ربه، وعلمهم ما علمه الله، ونصح لهم، فلما رأىٰ من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلىٰ ربهم والنصح لهم، شكا إلىٰ ربه ضعفه الظاهر

(١) في ظلال القرآن / سيد قطب، ج٣، ص٩٣ .

والباطن، وناداه نداء خفيًا، ليكون أكمل وأفضل وأتم إخلاصًا، فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ الذي هو عماد البدن ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾؛ لأن الشيب دليل الضعف والكبر، فتوسل إلىٰ الله – تعالىٰ – بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلىٰ الله؛ لأنه يدل علىٰ التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته. وأحسن ظنه بربه – سبحانه – بقوله: ﴿ وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أي: لم تكن يا رب تردني خائبًا ولا محرومًا من الإجابة، بل لم تزل بي حفيًا ولدعائي مجيبًا، ولم تزل ألطافك تتوالىٰ علي، وإحسانك واصلاً إلي، وهذا توسل إلىٰ الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة، فسأل الذي أحسن سابقًا، أن يتمم إحسانه لاحقًا.

وعلل زكريا سبب حاجته للولد بخوفه أن من يتولىٰ بني إسرائيل بعد موته لا يقوم بدين الله حق القيام وظاهر هذا، أنه لم ير فيهم أحداً فيه لياقة للإمامة في الدين، وفي هذا شفقة زكريا عليه السلام ونصحه، وأن طلبه للولد، ليس كطلب غيره، فلم يقصد مجرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصد مصلحة الدين، والخوف من ضياعه، ورأىٰ غيره غير صالح لذلك، وكان بيته من البيوت المشهورة في الدين، ومعدن الرسالة، ومظنة للخير، فدعا الله أن يرزقه ولداً ذكراً، صالحًا، يبقىٰ بعد موته، ويكون وليًا من بعده، ويكون نبيًا مرضيًا عند الله وعند خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده، أن يرزقه ولداً صالحًا، جامعًا لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم. فرحمه ربه واستجاب دعوته فقال: حيث بشره الله – تعالىٰ – علىٰ لسان الملائكة بـ (يحيىٰ) وسماه الله له (يحيىٰ) وكان اسمًا موافقًا لمسماه: يحيا حياة حسية، فتتم به المنة، ويحيا حياة معنوية، وهي حياة القلب والروح، بالوحي والعلم والدين. ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ أي: لم يسم هذا الاسم قبله أحد فحينئذ لما جاءته البشارة بهذا المولود الذي طلبه استغرب وتعجب وقال: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾، والحال أن زوجته عاقر وقد بلغ من الكبر عتيًا وكأنه وقت دعائه، لم يستحضر هذا المانع لقوة الوارد في قلبه، وشدة الحرص العظيم علىٰ الولد، وفي هذه الحال، حين قبلت دعوته، تعجب من ذلك، فأجابه الله بقوله:﴿ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ

عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ أي: الأمر مستغرب في العادة، وفي سنة الله في الخليقة، ولكن قدرة الله – تعالىٰ – صالحة لإيجاد الأشياء بدون أسبابها فذلك هين عليه، ليس بأصعب من إيجاده قبل ولم يكن شيئًا.

ثم سأل زكريا ﷺ ربه أن يجعل له علامة علىٰ ذلك يطمئن بها ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ﴾ وليس هذا شكا في خبر الله، وإنما هو، كما قال الخليل ﷺ : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ فطلب زيادة العلم، والوصول إلىٰ عين اليقين بعد علم اليقين، فأجابه الله إلىٰ طلبته رحمة به، فـ ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ وعجزه هنا عنه من غير خرس ولا آفة، بل كان سويًا، لا نقص فيه، من الأدلة علىٰ قدرة الله الخارقة للعوائد، ومع هذا، ممنوع من الكلام الذي يتعلق بالآدميين وخطابهم. وأما التسبيح والتهليل، والذكر ونحوه، فغير ممنوع منه، ولهذا قال في الآية الأخرىٰ في سورة آل عمران: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ فاطمأن قلبه، واستبشر بهذه البشارة العظيمة، وامتثل لأمر الله له بالشكر بعبادته وذكره، فعكف في محرابه، وخرج علىٰ قومه منه فأوحىٰ إليهم، أي: بالإشارة والرمز ﴿ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم :١١).[١]

الموضع الرابع : في سورة الأنبياء :

في قوله تعالىٰ :﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِين (٩٠)﴾ (سورة الانبياء:٨٩-٩٠)

قصة زكريا ومجرياتها في سورة الأنبياء :

زكريا ﷺ نبي كريم من كبار أنبياء بني إسرائيل، تقدمت قصته مفصلة في سورتي آل عمران ومريم، وجاءت القصة مختصرة في هذا الموضع، حيث تشير الآية هنا إلىٰ

(١) انظر: تفسير السعدي، ج٣ ص ١٩٢، ١٩٣ .

أنه دعا ربه بإلحاح وضراعة شديدة، دعاء ممتزجًا بثناء، بأن لا يجعله فرداً بلا أنيس ولا معين، فطلب أن يرزقه ولداً يؤنسه في وحدته، ويعينه في كبره، ويخلفه في عبادة ربه ودعوة الناس إليه . فآتاه الله سؤله، وأصلح له زوجه، حيث زالت موانع الولادة، وتهيأت للحمل بعد أن كانت عاقرا لا تلد فأنجبت ولداً صالحاً كان قرة عين لوالديه.

وقد مدحه الله وأهل بيته بخير ما يمدح من عباده الصادقين، وهو المسارعة في طاعة الله والفزع إليه؛ طمعًا في ثوابه وخوفًا من عقابه، مع ما كانوا عليه من الخشوع الذي ملأ قلوبهم فهو لا يفارقها أبداً.[1]





(١) انظر: التفسير الكبير / الرازي، ج ٢١، ص ٥١٤، وتفسير ابن كثير، ج٣، ص٣١٠، وموسوعة التفسير الموضوعي / نخبة من العلماء، ج٥، ص٦٣ .

المبحث الثاني
علاقة الإيجاز والإطناب في القصص القرآني بمقاصد السور

المطلب الأول : تعريف مقاصد السور:

المقصد في اللغة :

المقاصد لغة : جمع مقصد، وهو مِن قصَد يقصِد قصداً، ويرجع أصل هذه الكلمة إلىٰ مادة قصد، ومنها تتصرف جميع الاشتقاقات، كالقصد والمقصد، والقاصد، والمقاصد، والاقتصاد، وغير ذلك، وهذه الكلمة تدور في لغة العرب علىٰ معنىٰ التوجه والنهوض نحو الشيء، فإذا قال العربي: قصد فلان إلىٰ كذا، أي توجه إليه يريده دون ما سواه، وأَخَذَ قَصِيْدَ الوادي : أي قَصْدَه. (١)

المقاصد اصطلاحاً :

المقاصد هي: الأعمال والتصرّفات المقصودة لذاتها، والتي تسعىٰ النفوس إلىٰ تحصيلها بمساع شتىٰ، أو تُحمل علىٰ السعي إليها امتثالاً . (٢)

تعريف علم مقاصد السور:

علم مقاصد القرآن: يقصد منه الوقوف علىٰ المعاني والأغراض الأساسية والموضوعات الرئيسة التي تدور عليها سورة معينة. وقد يُعبِّر المفسرون عن مصطلح (مقاصد السور) بمصطلحات أُخر، مثل: مغزىٰ السورة، أو غرض السورة، أو الوحدة الموضوعية، أو نحو ذلك (٣).

*وبهذا يمكن أن نعرف مقصد السورة، بأنه : (مغزىٰ السورة الذي ترجع إليه معان السورة ومضمونها، ويمثل روحها الذي يسري في جميع أجزائها) (٤).

---

(١) المحيط في اللغة، ج٥، ص٢٥٦ . و لسان العرب، ج١١، ص١٨١ .
(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية / محمد الطاهر بن عاشور، ج٢،ص١٢٠ .
(٣) انظر دلائل النظام / عبد الحميد الفراهي، ص١٦
(٤) د. محمد الخضيري، موقع ملتقىٰ أهل التفسير https://vb.tafsir.net/.

أهمية علم مقاصد السور:

تنبع أهمية هذا العلم من كونه وسيلة لتحقيق المقصد من إنزال هذا القرآن كله وهو تدبره والاهتداء بما تضمنه؛ وذلك لأن التدبر لا يكون إلا بعد فهم المعاني، ومقصد كل سورة هو أصل معانيها الذي ترجع إليه.

كما أن وقوف المفسِّر علىٰ مقاصد السور يسدد ذهنه ويعصمه من الخطأ في تفسيرها؛ لأنه يتقيد في توجيه الآيات وَفقًا لهذا المقصد، وبيان ذلك أن مقصد كل سورة إنما يقف عليه المفسر بعد استقراء آياتها والتأمل العميق فيما تدل عليه معان تحقق مراد الله – تعالىٰ – من كلامه، وذلك بالنظر في فواتح السورة وخواتيمها، وسباق آياتها ولحاقها .

ثم إن الاعتناء بعلم مقاصد السور القرآنية يؤدي حتمًا إلىٰ اليقين بعصمة القرآن ورسوخ الإيمان بأنه كلام الله حقًا، فتشرق النفس وتقر العين ويزداد نور القلب.

وعلىٰ هذا فإن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يعتبر هو المنهج الأسلم الذي يجعل كلام الله منتظمًا علىٰ نحو يتضح فيه جليًّا كمال نظمه واتساق آياته، ويبرز إعجازه وبلاغته؛ قال البقاعي: (ومن حقق المقصود من السورة، عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها) [1] .

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / البقاعي، ج١، ص١٥٥ .

المطلب الثاني: علاقة الإيجاز والاطناب في القصص القرآني بمقاصد السور من خلال قصة زكريا عليه السلام

علاقة الإيجاز والإطناب بمقاصد السور :

لا يخفى علينا أن تكرار القصة القرآنية من أساليب البلاغة ؛ حيث تبرز المعنى الوحد بصور متعددة ومن زوايا مختلفة، كما أن مجريات القصة وأحداثها بين الإيجاز والإطناب في القصة القرآنية نفسها له علاقة بمقصد السورة والذي سيتبين لنا - بإذن الله تعالى- من خلال هذا المطلب .

(وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأنّ كلّ سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدعى في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة .

ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة).[1]

الموضع الأول في سورة آل عمران :

كما تقدم جاء ذكر قصة زكريا عليه السلام في سورة آل عمران بشيء من التفصيل والإطناب:

وكذلك الحال في سورة مريم في حين جاءت مختصرة جداً في سورة الأنبياء ومجرد إشارة في سورة الأنعام ولاشك أن هذا الأمر يدعونا إلى التأمل والنظر، لاسيما إذا عرفنا أن ذلك ليس له علاقة بترتيب السور في النزول لأنه قد يقول قائل: إنها وردت مفصلة عند أول ذكر لها في نزول القرآن، ولكن هذا التعليل لا يتمشى إذا علمنا أن سورة آل عمران نزلت بعد سورة الأنبياء وقد جاءت قصة زكريا مختصرة في سورة الأنبياء ومفصلة في سورة آل عمران .

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج١، ص١٨٣ .

يقول الإمام البقاعي : (وبيان أنّ معيار ترتيبه ليس التوالي الزمنيّ للأحداث في الواقع، بل السياق والغرض العام من البيان هو الذي يقضي بتقديم الإنباء بحدث مقدمًا علىٰ الإنباء بحدث قد سبقه في الوقوع . فيصطفي في كلّ مرة من النظوم ما ينقل إلينا جانبًا من جوانب المعنىٰ، بحيث يكون ذلك المنقول إلينا هو المتناسب مع السياق والغرض المنصوب له الكلام؛ لأنّ ذلك القصص له غاية تثقيفية تربوية تهذيبية هي المعيار في الاصطفاء معنىٰ وصورة معنىٰ). [١]

ولكي أجيب عن سر الإيجاز والإطناب في بعض السور دون بعض ننظر في العلاقة بين المقصد الأساسي لكل سورة من هذه السور المذكورة، وبين القصة نفسها من حيث الإيجاز والإطناب .

أولاً: مقصد سورة آل عمران :

إن المقصد الأساس لسورة آل عمران هو : إثبات الوحدانية لله –سبحانه وتعالىٰ– وكيفية الثبات علىٰ التوحيد، فبعد أن عرض الله – تعالىٰ– لنا المنهج الذي يجب علينا أن نتبعه في سورة البقرة جاءت سورة آل عمران لتدلنا علىٰ الطرق التي تعيننا علىٰ الثبات، وهذا يتجلىٰ واضحًا من خلال قصة زكريا عليه السلام .

قال الإمام البقاعي : (المقاصد التي سيقت لها هذه السورة – أي سورة آل عمران– إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالىٰ . [٢]

وقال ابن عاشور في معرض حديثه عن أغراض السورة: (إنها جاءت بالتعريف بدلائل إلاهية الله تعالىٰ، وانفراده، وإبطال دلالة الذين اتخذوا آلهة من دون الله). [٣]

وإذا استعرضنا سورة آل عمران ومحاورها نجدها تركز علىٰ قضية الثبات علىٰ الحق، والآيات فيها كثيرة في الثبات لكل الطبقات والناس، ومن ذلك قوله تعالىٰ :

– ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آية ١٠٢)

---

(١) مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور، ج١، ص١٨٣ .
(٢) مختصر مقاصد السور من مصاعد النظر / محمد الجامع، ص ٢٦
(٣) التحرير والتنوير / ابن عاشور، ج٣، ص١٤٤ .

- ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ (آية ١٠٣)
- ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾(آية ١٤٦)
- ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)﴾ (آية ١٧٣ - ١٧٤)
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آية ٢٠٠)

كما أن السورة تُحذّر من الأشياء التي تضيع الثبات، وتشكل عقبة في طريقه:

- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آية ١٤)
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (آية ١٥٥) وهي تدل على أن الذين تولوا في غزوة أحد من المسلمين استزلهم الشيطان نتيجة بعض ذنوبهم السابقة.
- (﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آية ١٦٥). أي كان المسلمون قد انتصروا أول الأمر على الكفار، ثم نتيجة حب الشهوات عصوا الرسول - ﷺ-؛ لذا فإن ما أصابهم هو من عند أنفسهم، ومن معاصيهم.

وبعد أن استعرضنا بعض الآيات التي تصب في مقصد السورة سيتضح لنا بعد ذلك

علاقة الإطناب في قصة زكريا عليه السلام بمقصد سورة آل عمران :

لا يخفى علينا أن القصص القرآنية لم تسق مساق الإحماض وتجديد النشاط، وما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير أو شر ؛ فحسب [1]، وإنما

(١) انظر التحرير والتنوير / ابن عاشور، ج١، ص٦٤

جاءت لغرض أسمىٰ وأعلىٰ يصب ويخدم موضوع السورة وأغراضها؛ ولذلك نلحظ من خلال التأمل في قصة زكريا عليه السلام في سورة آل عمران أنها ركزت علىٰ إثبات الوحدانية لله – سبحانه وتعالىٰ – كما ركزت علىٰ عوامل الثبات علىٰ دين الله واتخاذ الأسباب لذلك .

حيث قدم لقصّة زكريا عليه السلام في سورة آل عمران بذكر كفالة زكريا لمريم، وذلك تمهيداً لذكر ابنها عيسىٰ عليه السلام للتركيز علىٰ قضية العبودية وتوحيد الألوهية لله – تعالىٰ – وأن عيسىٰ عبد لله، ليس ابنـًا له ؛ لذلك جاءت القصة هنا تخالف في أسلوبها وسياقها، وما فيها من زيادة ونقص عن مجريات القصة في سورة مريم، وذلك يعود إلىٰ المقصد الأساسي لكل سورة، ثم ركزت السورة ثانيـًا علىٰ عوامل الثبات علىٰ دين الله .

فما عوامل الثبات التي يذكرها أهل العلم :

من أهم عوامل الثبات علىٰ دين الله وأبرزها [(١)]:

- الدعاء واللجوء إلىٰ الله تعالىٰ .
- ذكر الله وشكره وحسن عبادته .
- الاعتراف بفضل الله ونعمته .

وهذه العوامل ركزت عليها السورة حيث أطنبت السورة في قصة زكريا عليه السلام مؤكدة هذا المقصد من خلال أحداث القصة ومجرياتها، وإليك البيان:

أولاً : الدعاء واللجوء إلىٰ الله تعالىٰ :

ظهر ذلك جليـًا في قصة زكريا عليه السلام في هذه السورة ابتداءً من قصة نذر امرأة عمران وهي حنة أم مريم وجدة عيسىٰ عليه السلام وذلك أنها حملت فنذرت لئن نجاها الله ووضعت ما في بطنها أن تجعله محرراً لعبادة الله – تعالىٰ – فظهر هذا المقصد في قوله تعالىٰ :﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ

(١) موقع الاسلام سؤال وجواب / المشرف العام الشيخ محمد المنجد، ج٧،ص٨١ .

مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾ أي جعلت ما في بطنها محرّرًا لعبادة الله، أي: حبستُه علىٰ خدمته وخدمة قُدْسه في الكنيسة، ويروي الطبري بسنده عن الربيع قال: (كانت امرأة عمران حرّرَت لله ما في بطنها، قال: وكانوا إنما يحرّرون الذكور،فكان المحرَّر إذا حُرِّر جعل في الكنيسة لا يبرحها،يقوم عليهاويكنسها).[1]

﴿ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾

ثم تبرز تلك الآية المناجاة القريبة، مناجاة من يشعر أنه منفرد بربه، يحدثه بما في نفسه، وبما بين يديه[2]، وكذلك دعوة سيدنا زكريا عليه السلام ومناجاته لربه، حيث ركزت القصة علىٰ مشهد مناجاة زكريا لربه مصليًا وداعيًا وراجيًا له في طلب الولد، بعد ما وجد ما امتن الله به علىٰ مريم من الرزق، فخشع قلبه وانطلق لسانه داعيا ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء﴾(آية ٣٨).

فقد طمع زكريا عليه السلام بعد أن رأىٰ أن الله يرزق مريم – عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ– فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، أن يرزقه الله الولد، وهو وإن كان شيخًا كبيراً قد وهن منه العظم، واشتعل فيه شيب الرأس، وكانت امرأته هي الأخرىٰ مع ذلك كبيرة وعاقراً، إلا أنه لم يقطع الرجاء في نيل ما تأمله وصبت نفسه إليه، ثقة منه في رحمة الله وقدرته علىٰ خرق نواميس الكون، فراح يسأل الله ﷻ ويناديه نداء خفيًا، وكان الجواب الفوري في قول الله تعالىٰ: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ (آل عمران:٢٨، ٢٩).

وسورة آل عمران من السور التي كثر فيها الدعاء؛ ونحن إذا أردنا الثبات علىٰ المنهج علينا أن ندعو الله – تعالىٰ– ونلجأ إليه حتىٰ يعيننا علىٰ الثبات؛ لأننا بأمسّ الحاجة إلىٰ عون الله – تعالىٰ– للثبات.

(١) تفسير الطبري، ج٦، ص٣٣٠.
(٢) الظلال، ج١، ص٣٦٣.

ثانياً: العبادة:

وهذه السورة مليئة بنماذج من العُبّاد: مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ وعبادتها ومكوثها الطويل في محرابها – مكان عبادتها – حيث ظهر هذا المقصد في قوله :﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ آية ٣٧، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾ وهو محل العبادة، وفيه إشارة إلىٰ كثرة صلاتها وملازمتها لمحرابها).[(١)]

ثم يسلط الضوء علىٰ حال زكريا حين تلقىٰ البشارة في قوله تعالىٰ: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾آية ٣٩، حيث جاءته البشارة وهو قائم يصلي بالمحراب، في حين لم يأت التركيز علىٰ قضية الاجتهاد والعبادة في سورة مريم بالرغم من أن قصة زكريا جاءت مفصلة في سورة مريم، ولكنها أضاءت جوانب أخرىٰ في القصة، وذلك لتنكشف لنا العلاقة بين الإطناب في القصة القرآنية وعلاقتها بمقصد السورة .

ثالثًا : الاعتراف بنعم الله وفضله :

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾. قال : يا مريم أنىٰ لك هذا؟ قالت : هو من عند الله . ﴿إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حتىٰ ليعجب كافلها – وهو نبي الله زكريا ﷺ من فيض الرزق، فيسألها : كيف؟ ومن أين هذا كله؟ فلا تزيد علىٰ أن تقول في خشوع المؤمن وتواضعه واعترافه بنعمة الله وفضله، وتفويض الأمر إليه كله :

﴿ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.ثم يتوجه زكريا إلىٰ الله – تعالىٰ – بالدعاء معترفاً بفضل الله عليه أنه سميع الدعاء وذلك في قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾(آية ٣٨) .

(١) تفسير السعدي، ج١، ص٩٦٦.

ثانيًا: سورة الأنعام :

في سورة الأنعام أشير فقط لزكريا عليه السلام مجرد إشارة في معرض ذكر الأنبياء ولم تذكر قصته، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾(٨٥) .

وذلك لأن المقصد الأساسي لسورة الأنعام قضية الألوهية، ومجادلة المشركين وتبيين تصرفاتهم وأفعالهم وتناقشهم علىٰ كل المستويات، وقضية الوحي والرسالة، وقضية البعث والجزاء، والحديث في هذه السورة يدور بشدة حول هذه الأصول الأساسية للدعوة، ولأن قصة زكريا أحداثها ومجرياتها بعيدة عن هذا المقصد لم يطنب فيها وإنما أشير إلىٰ زكريا عليه السلام إشارة في معرض ذكر الأنبياء حيث إن من مقاصد السورة الوحي والرسالة .

الموضع الثالث: في سورة مريم :

في قوله تعالىٰ : ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا(٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣)
قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)
وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥)
يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ
يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ
مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ
سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا
(١١)﴾(سورة مريم: ٢-١١)

كما تقدم جاء ذكر قصة زكريا عليه السلام في سورة مريم بشيء من التفصيل والإطناب، وسيتجلىٰ لنا ذلك حين نقف علىٰ أغراض السورة ومقاصدها .

مقصد سورة مريم :

إن المقصد الأساس لسورة مريم بعد التأمل والنظر في الآيات هو الرحمة.

فهي سورة الرحمة ولذلك اختير لها اسم امرأة صالحة؛ تجسيداً لهذه الرحمة، فالرحمة إذا ذُكرت في الدنيا تذكر المرأة؛ لأن الله تعالىٰ قد طبعها علىٰ الرحمة فقيل: سورة مريم .

قال سيد قطب في الظلال : (ويتكرر لفظ الرحمة ومعناها وظلها في ثنايا السورة كثيراً، ويكثر فيها اسم ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾، ويصور النعيم الذي يلقاه المؤمنون به في صورة ود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ويذكر من نعمة الله علىٰ يحيىٰ أن آتاه الله حناناً ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾، ومن نعمة الله علىٰ عيسىٰ أن جعله براً بوالدته، وديعاً لطيفاً: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ .

وإنك لتحس لمسات الرحمة الندية ودبيبها اللطيف في الكلمات والعبارات والظلال، كما تحس انتفاضات الكون وارتجافاته لوقع كلمة الشرك التي لا تطيقها فطرته).[1]

فموضوع السورة ومقصدها الأساسي هو الرحمة، وقد كثر فيها اسم الرحمن، وسميت السورة باسم مريم، والمرأة عنوان للرحمة، وقصة زكريا ﷺ عنوان للرحمة).[2]

وإذا استعرضنا سورة مريم ومحاورها نجدها تركز علىٰ قضية الرحمة، والآيات كثيرة منها:

قوله تعالىٰ :

١ – ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ (مريم : ١٨)

٢ – ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾(مريم : ٢٦)

(١) ينظر ظلال القرآن / سيد قطب، ج٤، ص٢٣٠٠ .

(٢) د. محمد الخضيري / موقع ملتقىٰ أهل التفسير https://vb.tafsir.net/ .

٣- ﴿يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (مريم : ٤٤)

٤-﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم : ٤٥).

٥- ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم : ٥٨).

٦- ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ (مريم : ٦١).

٧- ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَىٰ الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ (مريم : ٦٩).

٨- ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلاَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ (مريم : ٧٥)

٩- ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم : ٧٨).

١٠- ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم : ٨٥).

١١- ﴿لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾(مريم : ٨٧).

١٢- ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (مريم : ٨٨).

١٣- ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (مريم : ٩١).

١٤- ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (مريم : ٩٢).

١٥- ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم : ٩٣)

١٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم : ٩٦).

فقد تكررت كلمة الرحمن في سورة مريم ١٦ مرة، وهذه المساحة التي يأخذها الاسم من السورة يهدينا إلىٰ مقصد السورة، حيث تتجلىٰ فيها الرحمة الإلهية للبشرية بهدايتهم إلىٰ العقيدة الصحيحة والمنهاج القويم في هذه الحياة وصولا إلىٰ رضوان اللّه وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

علاقة الإطناب في قصة زكريا ﷺ بمقصد سورة مريم :

جاءت قصة زكريا بشيء من التفصيل في سورة مريم مركزة علىٰ الرحمة، حيث افتتحت السورة بذكر اختصاص زكريا ﷺ بالرحمة، فما موجبات الرحمة التي عالجتها قصة زكريا ﷺ؟

١ – الإحسان في عبادة الله، وتقوىٰ الله وطاعته يقرب الإنسان من رحمة ربه، قال تعالىٰ: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾حيث وصفه بالعبودية المستوجبة للرحمة .

ومن أسباب الرحمة: دعاء الله والتوسل إليه بخضوع، وذلك ظاهر في قوله تعالىٰ : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (مريم:٤) .

حيث توسل إلىٰ الله – تعالىٰ – بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلىٰ الله؛ لأنه يدل علىٰ التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته.

﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أي: لم تكن يا رب تردني خائباً ولا محروماً من الإجابة.

٢– ومن أسباب الرحمة: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول – ﷺ – كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النور:٥٦)، ولعل من الله نافذة المفعول، محققة المأمول.

فهذه كانت جملة من الأسباب التي تجلب رحمة الله، ركزت عليها قصة زكريا ﷺ والذي ينبغي علىٰ كل مسلم ومسلمة أن يأخذوا بها، ويعملوا بمقتضاها؛ لتنزل عليهم النفحات الربانية والرحمات الإلهية، فنسأل الله أن يرحمنا برحمته وأن يعفو عنا بعفوه، إنه جواد كريم وهو أرحم الراحمين.

الموضع الرابع : سورة الأنبياء :

يخبر تعالىٰ عن عبده زكريا، حين طلب أن يَهبَه الله ولداً، يكون من بعده نبيًا، وقد تقدمت القصة مبسوطة في أول سورة "مريم"، وفي سورة "آل عمران"أيضاً،

وهاهنا أشد اختصارا منهما ؛﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ أي: خفية عن قومه: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ﴾ أي: لا ولدَ لي ولا وارثَ يقوم بعدي في الناس، ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ دعاء وثناء مناسب للمسألة.

فما مقصد سورة الأنبياء :

مقصد السورة هو: التنبيه علىٰ الحساب في القيامة وقرب وقوعها، والتركيز علىٰ قضية وحدة الرسالات من خلال: التذكير بحال الرسل، ودعوتهم الواحدة لعبادة الله وحده، وبيان أن هؤلاء الأنبياء الذين قاموا بهذه الدعوة لم يدعهم ربهم، بل أعطاهم وأكرمهم ومكّنهم، وصارت لهم الغلبة، وصاروا هم أصحاب الشأن وآل الأمر. [1]

علاقة الإيجاز بمقصد سورة الأنبياء:

إن المقصد الأساس لسورة الأنبياء يدور حول قضية الرسل ودعوتهم وتكريم الله لهم، لذا جاء التركيز في سورة الأنبياء علىٰ ذكر الرسل واستجابة الله لهم، وهكذا شأن كل الأنبياء في السورة، ولم تركز علىٰ الجوانب الأخرىٰ؛ لأنه ليس من مقصدها، ولكثرة الأنبياء جاء المرور عليها سريعاً دون تفصيل .

ولأن إثبات الوحدانية قد جاءت واضحة في سورة آل عمران وسورة مريم كذلك ذكرت هنا قصة زكريا باختصار، ولكن ركزت الآيات علىٰ قضية الاستجابة للأنبياء بقوله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾، وذلك لأن من أغراض السورة بيان فضل الأنبياء، وتكريم الله لهم بإجابة دعوتهم .

فجاءت قصة زكريا ﵇ مختصرة، ولم يسلط فيها الضوء إلا علىٰ إجابة دعوة زكريا دون الدخول في التفاصيل، وذلك أن مقصد السورة هو التركيز علىٰ قضية إرسال الرسل .

(١) بصائر ذوي التمييز / مجد الدين الفيروز آبادي، ج١، ص٣١٧، التحرير والتنوير / ابن عاشور، ج٨، ص٦، موقع إسلاميات، islamiyyat.com .

قال في الظلال : (وكانت الاستجابة سريعة ومباشرة : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾، وكانت عقيماً لا تصلح للنسل، ويختصر السياق تفصيل هذا كله؛ ليصل مباشرة إلىٰ استجابة الله للدعاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ فسارع الله في استجابة الدعاء). [1]





(١) في ظلال القرآن / سيد قطب، ج٤، ص٢٣٩٥ .

الخاتمـــة

وأشير ختامـًا، إلىٰ أن من القصص القرآني ما لا يأتي إلا مرة واحدة، ومنه ما يأتي متكرراً حسب ما تدعو إليه الحاجة، وتقتضيه المصلحة، ولا يكون هذا المتكرر علىٰ وجه واحد، بل يختلف في الإيجاز والإطناب، واللين والشدة، وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر، وأن من الحكمة في هذا التكرار: بيان أهمية تلك القصة، لأن تكرارها يدل علىٰ العناية بها وتوكيدها؛ لتثبت في قلوب الناس، ومن الحكمة في هذا التكرار مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها، وأغراض السورة ومقاصدها،

يقول الإمام البقاعي : "(وهكذا تتناسل مقاصد السور بعضها من بعضٍ تناسلا يقوم بأمرين جليلين :

الأول: تأسيس معنىٰ لم يكن مؤسسـًا في التي قبلها .

والآخر: تأكيد ما سبق تأسيسه .

وفي كل تأكيد تأسيسٌ من وجه آخر، ولا يكون التأكيد بالتكرير بل بالتصريف البياني في تصوير المعاني ذلك أن القرآن الكريم لا يقوم علىٰ منهاج التكرير العقيم)."[1]

(ولأجلِ اختلاف مقاصد السور، تتغير نظوم القصص وألفاظها بحسب الأسلوب المفيد للدلالة علىٰ ذلك المقصِد).[2]

ولهذا نجد الإيجاز في بعض المواضع والإطناب في أخرىٰ في القصة الواحدة، والذي ظهر لي من خلال البحث :

١- إن مقصد السورة وأهدافها أحد أسباب عرض القصة بالإطناب والتفصيل تارة و الإيجاز تارة أخرىٰ، وذلك ليسلط الضوء علىٰ الجانب الذي سيقت لأجله القصة والذي يخدم مقصد السورة وأغراضها .

(١) مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور / البقاعي ج١، ص١٥٢ .
(٢) مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور / البقاعي، ج١، ص١٥٢ .

٢- إظهار إعجاز القرآن الكريم البلاغي في تكرار القصص بعبارات مختلفة إيجازا وإطنابا، حيث تأتي هذه القصص علىٰ رغم تكرارها علىٰ أتم وجه، وأفضل تناسب، لتكمل بعضها بعضا دون تناقض في المضمون، أو تعارض في سرد الحدث القصصي .

أهم التوصيات :

١- ضرورة النظر الفاحص من قبل الباحثين في الكتاب المبين في المقاصد القرآنية لقصص القرآن والتدبر الأمثل فيها، لما فيها من الخير العظيم والفلاح المبين.

٢- أوصي الباحثين بالاهتمام بالإيجاز والإطناب في القصص القرآني وعلاقته بمقاصد السور من خلال مشروع متكامل يتناول فيه كل قصص القرآن لتبدو الصورة واضحة وجلية .

❊ ❊ ❊

المصادر و المراجع

١. الإتقان في علوم القرآن / جلال الدين السيوطي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٦هـ.

٢. الإطناب في قصص القرآن الكريم / عائشة أحمد جرار، رسالة ماجستير، ٢٠٠٩ م.

٣. الإمَام البقاعي، جهاده ومنهاج تأوِيله بلاغة القرْآن الكَرِيم، إعداد: محمود توفيق محمد سعد، الطبعة الأولىٰ : ١٤٢٤هـ.

٤. البحر المحيط في التفسير/ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٥. البرهان في علوم القرآن / بدر الدين الزركشي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ.

٦. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧. تفسير القرآن العظيم/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٩. جامع البيان في تأويل القرآن/ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٠. جواهر الكنز/ ابن الأثير، نجم الدين أحمد بن اسماعيل: تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف.

١١. في ظلال القرآن / سيد قطب، بيروت: دار الشروق، ط : ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

١٢. كتاب التعريفات/ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني،المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

١٣. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل / محمد علي السَّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، الناشر: دار الفكر – دمشق،الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

١٤. لسان العرب/ محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

١٥. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر/ محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي،المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولىٰ: ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٤م .

١٦. مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور / الإمام البقاعي، مكتبة المعارف، الرياض.

١٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي/ المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

١٨. معجم البلاغة العربية / بدوي طبانة، بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٨هـ.

١٩. معجم لغة الفقهاء/ محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

٢٠. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ.

٢١. من بلاغة القرآن في التعبير بالغدو والأصال والعشي والإبكار/ الدكتور محمد محمد عبد العليم دسوقي، رقم الإيداع بدار الكتب ٨٦٠٦/ ٢٠٠٣م.

٢٢. موسوعة التفسير الموضوعي / نخبة من العلماء.

مواقع إلكترونية:

- مركز تفسير WWW.TAFSIR.NET

- موقع إسلاميات islamiyyat.com .



❊ ❊ ❊



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه



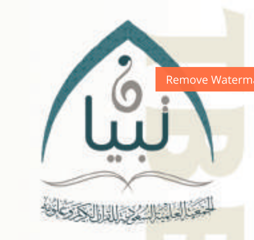
مجلة علمية دوريّة محكّمة



موضوعات العدد الثاني والثلاثون


العدد الثاني والثلاثون - شوال 1439 هـ - يوليه 2018 م
TBEIAN FOR QUR'ANIC STUDIES
Issue 32- Shawwal 1439 AH/ July 2018
٣٢ 32

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry Of Education
Al-imam Muhammad Ibn Saud
Islamic University
Saudi Academic Association
The Holy Qur'an and Its sciences



TBEIAN

FOR QUR'ANIC STUDIES

Refereed Scholarly Journal



Contents